MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT
SUPERIEURET DE LA RECHERCHE
SCIENTIFIQUE
UNIVERSITE 8 MAI 1945 GUELMA
Faculté des lettres et des langues
Département de langue et littérature
arabe

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 8 ماي 1945 قالمة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مطبوعة بيداغوجية في:

مادة: قضايا اللسانيات

السنة الأولى ماستر

السداسي الثاني

للفترة الممتدة لما بعد عطلة الربيع من 2020/04/05 إلى نهاية السداسي

الأستاذ العياشي عمیار

الموسم الجامعي 2020

المحاضرة التاسعة

آليات الاكتساب المعرفي

سبق وأن ذكرنا في المحاضرة السابعة أن الاكتساب مصطلح معرفي/ عقلي وبالتالي فهو يحيلنا على المهارة،ومن ثم فهو يندرج ضمن نظريات علم النفس المعرفي /العقلاني

النظرية المعرفية (cognitivisme)

بعد أن تناولنا في الدروس السالفة بعض النظريات السلوكية باعتبارها بؤرة اهتمام أنصار بيداغوجية الأهداف نحاول في هذه المحاضرة أن نقف عند النظرية المعرفية.

بدأ الاهتمام بالجانب المعرفي في مجال التربية والتعليم منذ النصف الأول من القرن الماضي فقد ظهرت النظرية الكلية المعروفة بنظرية الجشتالت والتي انبثقت عنها الطريقة الكلية في تعليم اللغة، وقاعدة هذه النظرية أن الكل نظام مترابط مكون من أجزاء متفاعلة وأن إدراك المتعلم يتجه إلى الكل، ثم إلى أجزائه بعد ذلك تدريجيا.

والنظريات المعرفية على اختلافها وتعددها ترفض ما يعتقده السلوكيون من أن التعلم يحدث نتيجة لمؤثرات خارجية فقط[1].

كما ترفض فكرة أن عقل المتعلم صفحة بيضاء تسطر عليها البيئة –طبيعية كانت أم تعليمية– ما تريد من أفكار. وتؤكد على أهمية الدور الايجابي للمتعلم الذي يسيطر على عملية التعلم ويتحكم فيها بعقله، فالعقل هو الذي يختار ما يناسب حاجات المتعلم ورغباته، وهو الذي يصنف هذه المدركات ويربط بينها وبين الخبرات السابقة، إن عناية المعرفيين بالعقل ودوره الفاعل في اكتساب اللغة وتعلمها هي أهم فارق بين المعرفيين والسلوكيين وهي بداية الافتراق بين المدرستين.

من هنا جاءت المقاربة المعرفية كبديل عن «النظرية السلوكية التي سيطرت على مجال تعليم اللغة، بل في كل أنواع التعليم، وبخاصة التعليم العربي، وأكثر خصوصية في تعليم اللغة العربية وما تزال أزمة المدارس السلوكية مركزة في أمرين هما (العجز عن المعنى)، والتركيز على الظاهر المعاين. لذلك اعتنى السلوكيون باللسان واليد وأهملوا العقل»
لقد ارتبطت النظريات المعرفية التي تناولت موضوع اكتساب اللغة

بتيارات فكرية وعملية ركزت اهتمامها على فهم طبيعة الإنسان الأساسية لعل من أشهرها في العقود الأخيرة من القرن الماضي المدرسة التوليدية التحويلية في مجال اللسانيات بريادة نعوم تشومسكي (N.Chomsky) الذي رفض الإطار السلوكي الذي حصر اللغة في قانون المثير والاستجابة وما يتصل به من مفاهيم كالتعزيز والتكرار والمران وانتقال أثر التدريب حيث لا ترتبط الاستجابة الكلامية فيها بأي شكل من أشكال التفكير، ولا تميز بين السلوك الإنساني والسلوك الحيواني فيؤكد أن اللغة هي التي تميز الإنسان من الحيوان، وأنها غير خاضعة لأي حافز فهي «تنظيم عقلي فريد من نوعه تستمد حقيقتها من حيث أنها أداة للتعبير والتفكير الإنساني الحر»(2).

إن تشومسكي يرى أن اللغة "واحدة من الخصائص المقصورة على النوع الإنساني، وهو جزء من إعدادنا الإحيائي المحدد بالوراثة، أي مكون من مكونات العقل(3).

وترتب على هذه النظرة أن اللغة ملكة من ملكات العقل، وأن اكتسابها يعد عملية نضج أساسا. لذلك يذهب تشومسكي إلى أنه من غير المفيد أن نبحث عن سبب

نمو الكلام لدى الطفل لأن "خصائصه تماثل عناصر طبيعتنا المشتركة التي تجعل من اللازم أن تنمو لنا أرجل وأذرع بدلا من الأجنحة" [4]

. إن اكتساب اللغة في نظر تشو مسكي أمر لا يحدثه الطفل وإنما يحدث له، إذا ما وضع في بيئة ملائمة و(هو أمر يشبه نمو جسم الطفل ونضجه بطريقة محددة عندما يقدم له غذاء ملائم وبيئة حافزة) وهذا يعني أن البيئة اللغوية الصالحة تعد شرطا ضروريا لممارسة الوظيفة اللغوية، في حين يعتبرها البنويون السلوكيون (5) منبعا للسلوك اللفظي وقالبا مهيكلا له.

إن " اكتساب اللغة لا يعنى بالكم المعرفي المحصل وإنما بالعمليات العقلية التي تعد هي المسؤولة عن البصر بالمعرفة وأسلوب الاحتفاظ بها ثم أسلوب استعادتها وفي الانتساب ليس شرطا أن يستعيد المتعلم القدر المخزن نفسه –كما في التحصيل– بل يكون التركيز على الخطة العقلية التي إذا استخدمت صوابا أمكن استعادة المعرفة والاكتساب يعنى بأمرين هما: بنية المعرفة اللغوية المقدمة للمتعلم، والبنية المعرفية في عقل المتعلم"(6).

ولما كانت اللغة إحدى الأنظمة المعرفية فقد وضع تشومسكي نظرية في اكتسابها أقامها سنة 1965 (7)على افتراض وجود كفاية لسانية خاصة باكتساب اللغة:

(فالمادة اللغوية ⟵⟶ الكفاية اللغوية ⟵⟶ اللغة "قواعداللغة" ‘

فالمادة اللغوية تمثل التجربة التي يتعرض لها الطفل في الجماعة اللغوية التي يعيش فيها وتنهض بتسهيل الكفاية اللغوية وتحديد اللغة التي يكون الطفل بصدد التعرض لها، أما القواعد اللغوية فتمثل وصفا للكفاية اللغوية(8).

لقد جعل تشومسكي عملية اكتساب اللغة مهمة من المهام الأساسية للنظرية اللسانية على الرغم من أنه لم يحدد بدقة مراحل الاكتساب، وبناء على

هذا التصور تجددت الأبحاث في مجال علم النفس المعرفي (9) منطلقة من فرضية مفادها أن الطفل يبني لنفسه أنحاء متتالية ويستنبط القواعد من مادة لغوية قليلة، لكن هذا التصور لم يفض إلى طرائق في تعليم اللغات لأن

تشومسكي يرى أن اللغة تنمو من تلقاء نفسها وجعل أس اهتمامه أن ينفذ إلى الكفاية اللغوية للكشف عن القواعد الضمنية التي تنتظم اللغة.

إن القول بأن للطفل كفاية غير متناهية يستطيع من خلالها أن يصوغ عددا غير متناه من الجمل لم يسبق له أن سمعها يقود الباحث إلى استنتاج أن هذه الكفاية عمل عقلي يتجدد باستمرار لذلك رأى تشومسكي بأن للغة مظهرا إبداعيا؛ فما ينطق به الفرد عند استعماله اللغة استعمالا عفويا يتضمن تعابير متجددة لا يمكن اعتبارها–أبدا– ترديدا لما سمعه سابقا، لذلك لا يمكن اعتبار التنظيم اللغوي للطفل تقليدا تاما لمحيطه اللغوي أو نسخة مصغرة منه على الرغم من أنه يعيد إنتاج جمل جديدة انطلاقا من الكلام الذي تناهى إلى مسمعه في محيطه اللغوي، وقد ينحرف الطفل عند استعماله اللغة عن كلام الكبار لكن هذا الانحراف هو في حد ذاته عملية إبداعية لأن الطفل بموجبه يصوغ عالمه اللغوي الخاص ومن ثم نفهم سبب رفض تشومسكي لمبدأ التقليد في اكتساب اللغة.

إن النظرية التوليدية التحويلية قد تجاوزت النظرية السلوكية بتفسيرها ما عجزت عن تفسيره هذه الأخيرة في ميدان اكتساب اللغة عند الطفل، فمفهوم الكفاية اللسانية الذي تجسد في أعمال تشومسكي كان له الفضل الكبير في تطوير النظرية اللسانية، فقد استطاع مع بعض التعديلات أن يعوض مفهوم اللغة في النظرية البنوية عند دو سوسير بمفهوم الكفاية، ومفهوم الكلام عنده كذلك بمفهوم الأداء "performance". وتمكن من خلال هذين المفهومين أن يعطي للغة بعدا عقليا إبداعيا حركيا ينطلق من العمليات العقلية ويتجلى في مختلف تصرفات الفرد اللغوية نطقا وكتابة، بعدما كانت تتميز بمظاهر ثابتة وخارجية، وميزة مفهوم الكفاية على مفهوم اللغة تتجسد في الجانب النفسي لكنها مع ذلك ليست من دون سلبيات لأنها أقصت البعد الاجتماعي والتفاعلي والوظيفي للغة على اعتبار أن اللغة لم توضع لكي يتكلمها فرد واحد وإنما هي استعمال

اجتماعي. إن أدنى حد للغة في بعدها الاجتماعي شخصان ويترتب عن هذا التصور أن ينظر إلى اللغة على أنها حوار قوامه الكفاية التواصلي(10).

إن إقصاء البعد الاجتماعي رغم أهميته بل ضرورته في العملية التواصلية وتعقد النحو التحويلي ومبالغته في التجريد كان من الأسباب التي أدت إلى إخفاق النظرية التوليدية التحويلية في ميدان تعليم اللغة مما دعا الباحثين إلى توجيه النقد إلى هذه النظرية رغم فعاليتها في وصف المسار اللغوي.

وإذ وفّقت بيداغوجية التدريس بالكفايات إلى الاستفادة من نتائج الدراسات النفسية في مجال علم النفس المعرفي، ونتائج الأبحاث اللسانية من منظور النظرية التوليدية التحويلية، واستمدت منها أهم المبادئ والآليات والقواعد التي تساعد المتعلم (التلميذ) على اكتساب اللغة وسبل تطويرها فضلا عن استفادتها من أبحاث علوم التربية خاصة في مجال تطوير كفايات معلم اللغة فإن تلك الأبحاث جميعها تشكل مرجعيات وروافد متعددة ومتنوعة تسهم في تحقيق أهداف هذه البيداغوجية الجديدة التي عقد عليها العزم في تطوير المسار التعليمي بالمنظومة التربوية الجزائرية، ومن ثم تصحيح مظاهر النقص وتجاوز العثرات التي شهدتها المدرسة الأساسية لذلك «فإن مجال التربية يتصور بيداغوجية الكفايات أفضل وسيلة لخدمة الإنسان بما أنها تروم استشراف عدالة داخل النظام التربوي عن طريق الحد من النسبة العالية للإخفاق الدراس (11) لذي يكلف النظام التعليمي كثيرا ويشكل عائقا أمام بلوغ مرتبة "المجتمع الديمقراطي" وفضلا عن ذلك تكتسي المعرفة المدرسية وفقا لتصور بيداغوجية الكفايات دلالة بالنسبة إلى المتعلم على نحو تغدو فيه مسايرة لاهتماماته وتطلعاته ومتناغمة مع محيطه خارج المدرسة من خلال تفعيلها داخل وضعيات مصاغة في مشكلات لا تنأى عما يصادفه المتعلم في حياته الاجتماعية أو المهنية (12).

كما أن "المعرفة اللغوية" في سياق هذه البيداغوجية تنهض على دعامة تصورية مقتضاها وجود وشائج بين البعدين النظري والتطبيقي، وتنظر إليها في منأى عن منطق المادة الدراسية الواحدة التي تؤدي إلى تفكيكها ومن ثم تفتيت الفعل التربوي، لذلك نظرت هذه البيداغوجية إلى اللغة على أنها أنشطة (13) وليست مواد، ثم عوّلت بعد ذلك على نفي الحدود المصطنعة بين تلك الأنشطة التعليمية وبحثت عن القواسم المشتركة بينها. ومن ثم اتجه التعلم إلى التركيز على المعنى والفهم وهذان العاملان يحصلان بالاكتشاف الاستقرائي، والاستيعاب الاستنتاجي، تركيبا وتحليلا وهو ما يضمن تحسن التعلم واستمراره ويزيده حيوية وفعالية

الهوامش:

(1) – ينطلق علماء النفس السلوكيون من أن تعلم اللغة لدى الطفل يقوم على تكوين عادات سلوكية تعتمد على التعزيز الإيجابي الذي يتلقاه من والديه أو من معلميه أو من غيرهم من المحيطين به، وهم يتعاملون مع اللغة على أنها ظواهر تلاحظ لا معايير تراعى، ومن ثم فهي قابلة للقياس ولذا يركزون على المستوى الصوتي ويقصون المستوى الدلالي لأنهم يرون أنه أضعف نقطة في دراسة اللغة. وعلى النقيض منهم يرى المعرفيون أن اكتساب اللغة يتم عن طريق العمليات العقلية التي تعتمد على الفهم والربط والتحليل ولذلك فالتعلم عندهم ظاهرة لها معنى بالنسبة إلى المتعلم ترتبط بتكوينه العقلي والمعرفي.

(2) ميشال زكريا: الألسنية، علم اللغة الحديث، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط2 ،1983، ص 74.

(3)– **نعوموم تشومسكي:** اللغة ومشكلات المعرفة، ترجمة **حمزة بن قبلان المزيني،** سلسلة المعرفة اللسانية، عدد96 دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1990، ص 13، 14.

(4)– المرجع السابق نفسه، ص16.

(5)– كان من نتيجة اقتران "البنيوية" باعتبارها نظرية في اللسانيات بعلم النفس السلوكي أن تمخض عنهما اتجاه عرف بـ: الاتجاه "البنيوي السلوكي" وهو من صلب اللسانيات النفسية.

(6) – "اكتساب اللغة لا يعنى بالكم المعرفي المحصل وإنما بالعمليات العقلية التي تعد هي المسؤولة عن البصر بالمعرفة وأسلوب الاحتفاظ بها ثم أسلوب استعادتها وفي الانتساب ليس شرطا أن يستعيد المتعلم القدر المخزن نفسه –كما في التحصيل– بل يكون التركيز على الخطة العقلية التي إذا استخدمت صوابا أمكن استعادة المعرفة والاكتساب يعنى بأمرين هما: بنية المعرفة اللغوية المقدمة للمتعلم، والبنية المعرفية

في عقل المتعلم انظر ، **حسني عبد الباري عصر**: قضايا تعليم اللغة العربية وتدريسها، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، مصر، ط1، 1999 ص 37،38.

(7) :انظر كتاب: جوانب من نظرية النحو، ترجمه إلى العربية **مرتضى جواد بقر**، من جامعة البصرة، مطابع جامعة البصرة، العراق، 1985م.

(8) – وتعد النظرية التوليدية التحويلة التي ضمنها **تشومسكي** كتابه (البنى النحوية الذي ترجمه **يوئيل يوسف عزيز** من جامعة الموصل، دار العيون، ط2، 1987) أبرز نظرية لسانية معاصرة بعد النظرية البنيوية الوصفية لـ **فرديناندده سوسير**«وهي تمثل النمط المعرفي الفطري وتعالج قضايا اللغة واكتسابها وعلاقتها بالعقل والمعرفة الإنسانية، وقد أقام **تشومسكي** نظريته هذه على أساس أن اللغة مكون من مكونات الإنسان يتميز بها عن غيره من المخلوقات، كما يتميز بإذكاء والقدرة على التفكير، وأن اكتسابها ملكة مغروسة فيه منذ الولادة لهذا رفض النظرة الظاهرية الشكلية للغة كما هي عند البنيوين الوصفيين، باعتبارها ناقصة لا تعالج إلا جزءا يسيرا من هذه الظاهرة العقلية المعقدة»انظر **عبد العزيز إبراهيم العصيلي**: أساسيات تعليم اللغة العربية، مرجع سابق، ص 57.

(9)– يذكر **مارك ريشل** (Marc Richelle) «أن فرضيات تشومسكي أثارت لدى العديد من علماء النفس اللغويين بعض الأبحاث التي توجهت نحو البرهنة على الحقيقة النفسانية للكفاية اللغوية بالمعنى الذي يعطيه تشومسكي لهذا التعبير وفي غمرة الحماس لما هو جديد أظهر الباحثون الأوائل الذين تابعوا هذا المنحنى بعض العجلة حين أخذوا يستخلصوا من النتائج التي توصلوا إليها البراهين الحاسمة على صدق النموذج التوليدي على المستوى النفساني» أنظر كتابه: اكتساب اللغة **مارك ريشل**، ترجمة **كمال بكداش**: المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان، ط1 1984، ص 84.

(10)– فاللغة في مستواها المنطوق تتأسس على الباحث والمتلقي فالتواصل فيها مباشر "com .directe" بينما تتأسس في مستواها المكتوب على حضور الكاتب فيها وغياب المتلقي، فالتواصل فيها مؤجل "com. différée".

(11)–استنادا إلى نتائج دراسة قامت بها وزارة التربية الوطنية طبقا لمعايير اليونسكو (بن بوزيد أبو بكر 2001) أثبتت أنه: من بين 100 تلميذ مسجلين في السنة الأولى الابتدائي 67% فقط إلى السنة التاسعة و 39% يحصلون على شهادة التعليم المتوسط، و 34% يصلون إلى السنة الثالثة ثانوي، 14% يحصلون على شهادة البكالوريا، هذه الأرقام تبين مدى النسب الضئيلة من المتمدرسين التي تصل إلى مستويات مختلفة من التعليم. الأمر الذي يثير أكثر من استفسار حول أسباب هذا الفشل أو التسرب المدرسي» انظر: بحوث الملتقى العربي لجمعية كليات ومعاهد التربية للجامعات العربية حول: التربية والتعليم في الوطن العربي، إصدار مخبر التربية والتنمية ، جامعة وهران الجزائر، الجزء الأول، 2002، الجزائر، ص 101، 102.

(12)- **لحسن توبي**: بيداغوجية الكفايات والأهداف الاندماجية، مرجع سابق، ص 181.

(13)- كانت بيداغوجية المحتويات تقوم على مفهوم "المادة" الذي يوحي بمعاني تكدس المعارف، لذلك اتجهت بيداغوجية الكفايات إلى استعمال مصطلح «النشاط الذي هو ممارسة المتعلم التي تنصب على

محتوى تعليمي في حصة من حصص الدرس، ومفهوم النشاط يوحي بمعاني الممارسة والإنجاز والبناء ويضع المتعلم في مرتبة الصدارة، ويعطي له الدور الأساسي في العملية البيداغوجية» انظر الوثيقة المرافقة لمناهج السنة الثالثة من التعليم الابتدائي، مصدر سابق، ص 11.

انتهى الدرس